الوسيط بين الافراط والتفريط

جمع الفقير محمد جميل الشطي
النائب الحنبلي بدمشق

EGYPTIAN LIBRARY

طبعت في دمشق بمطبعة الترقي
سنة ١٣٤٠

الوسيط بين الافراط والتفريط

جمع الفقير محمد جميل الشطي
النائب الحنبلي بدمشق

THEQUE EGYPTIENNE
EGYPTIAN LIBRARY

طبعت في دمشق بمطبعة الترقي
سنة ١٣٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا امة وسطا وصلى الله على سيدنا محمد الذي رسم لنا في الدين خططا وعلى آله وصحبه الذين قطع الله بهم لغطا آمين وبعد فقد طالما ذكرت في دمشق مسائل الوهابية اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب العالم النجدي المتوفى سنة ١٢٠٦ — وهي مسائل يصح بعضها عن امامنا المبجل احمد بن حنبل رضي الله عنه اذ النجديون حنابلة في الأصل — وبعضها يصح عن شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٨ — وبعضها بل امهاتها مذهب قام به ابن عبد الوهاب المذكور ودعا اليه في بلاده حيث ظهرت احلاف العرب وسكان البوادي واعانه عليه ابن سعود الامير النجدي فانقادت البلاد لدعوته وقرأوا كتبه في مساجدهم ومكاتبهم فاشربوا ما فيها من الدعوة الى التوحيد وتسمية جماعتهم موحدين وتسمية سائر المسلمين مشركين يستبيحون دماءهم واموالهم وذلك من طريق الاجتهاد والاستدلال بما قد يصح وقد لا يصح وقد ينبغي وقد لا ينبغي وهكذا قام بعده اولاده واحفاده وتلامذته الذين قتل جماعة منهم ابراهيم باشا حين حاربهم فاجلاهم عن المدينة المنورة بل عن بلادهم واموالهم واهليهم وذلك سنة ١٢٣٣ ومازالوا يؤلفون الرسائل في تلك المسائل الى يومنا هذا وكلما قاموا بدعوة جفاهم العلماء بها اتما جفوة وكلما نشروا مقالة كتب عليها العلماء مائة رسالة ولا يزالون في هذه البلاد افراداً معدودة واهل العلم الذين هم السواد الاعظم جموعا عديدة وطال هذا الامر حتى خشينا ان يقع مالا تحمد عقباه ولا حول ولا قوة الا بالله وقد رأيت

بعين الحق والحقيقة ان لهذه الطائفة التي يسميها الناس بالوهابية او المبتدعة مسائل ومباحث وان كان لهم في بعضها الحق والحجة على صلابة دينهم وحسن حالهم فانه لادليل لهم في اكثرها سوى الرأي واتباع الهوى مع سوء الفهم وخشونة القول — ورايت لعلمائنا الذين تسميهم الوهابية بالحشويين اوالجامدين لجمودهم على مافي بعض الكتب من الحشو — نصوصاً واقوالا وان كانت سيئة في ضمن حسنات ونقطة نقص من بحر كمالات فقد لا يقوم لهم بها دليل صالح وقد يخالفون بها دليلا ظاهراً وقد تكون ترجيحاً بلا مرجح وذلك احتفاظاً بالتقليد واتباعا للقديم مما قد يأباه الدين القويم والعقل السليم اذ من الخطأ الواضح والغلط الفاضح الخروج عن الاصل الذي عرف عن صدر الاسلام وسلف الامة مشيا مع الاقاويل والاراء الجمة او جموداً في التحقيق والتطبيق فلذلك سنح لي ان اضع رسالة ابين فيها مابين الفريقين الغاليين فالحق كما قيل بين باطلين وادعو كلاً الى الاعتدال الذي هو ضالتنا المنشودة في كل حال وعلى الله الاتكال

(مسائل الوهابية)

لا يعرف للوهابية خلاف في مسائل المعاملات او المناكحات يخرجون به عن مذهبنا الحنبلي فانا لم نر لهم كتاباً ولا سمعنا لهم دعوة الى شيء من ذلك وانما خلافهم في مسائل من العبادات وما في ضمنها من عادات فمنها بل رأسها مسألة التوحيد والشرك وهي المسألة التي الفوا بها رسائلهم وبنوا عليها مذهبهم وكفروا بها المسلمين واستباحوا بها دماءهم واموالهم اجمعين والاصل في هذه المسألة التوسل بالانبياء والصالحين وزيارة قبورهم هل يجوز ذلك لانه ثبت في الاثار ومرت عليه الاعصار بلا نهي ولا انكار وهو قول الحشوية ؟ ويستدل هؤلاء بايات قرآنية منها (فاستغاثه الذي هو من شيعته) و (ولوانهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك) و (النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم) و (وما كان الله

ليعذبهم وانت فيهم) و (وما ارسلناك الا رحمة العالمين) — وبحديث الضرير الذي رد الله بصره باستشفاعه بالنبي حسبما امره وفيه (اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيك — اللهم شفعه في) وحديث (من زار قبري وجبت له شفاعتي) وباستسقاء عمر بالعباس ومعاوية بيزيد وبما عليه السلف من زيارة قبور الصالحين والتوسل بهم — ام لايجوز شيء من ذلك لانه من الشرك لافرق بينه وبين دعوة غير الله وهو قول الوهابية ؟ ويستدل هؤلاء على دعواهم هذه بايات يتبادر من ظاهرها منع ذلك فمنها (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً) و (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) و (يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم) و (فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً) وبحديث اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله .

(التوسط في هذه المسألة)

لا خلاف بين الفريقين في ان ادلة النهي انما نزلت في مشركي مكة ممن كانوا يعبدون الصلحاء والاوثان وغير ذلك أو يستشفعون بهم شفاعة مطلقة وانه ليس في عامتنا فضلا عن خاصتنا من يدعو غير الله تعالى او من يعبد شيئاً مما ذكر لا سمح الله بدليل آيات التوسل واحاديثه المقدمات وزد على ذلك انه درج على التوسل والاستشفاع بالنبي والصالحين احياء وامواتاً سلف الامة وخلفها وسادتها وعلماؤها في قصة عثمان بن حنيف مع الرجل صاحب الحاجة الى عثمان بن عفان رضي الله عنهم — وقول مالك لامير المؤمنين ابي جعفر في مناقشته له وهو في حرم النبي عليه الصلاة والسلام (ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك الى الله تعالى — وتوسل الشافعي بآل البيت : آل النبي ذريعتي وهم اليه وسيلتي — وما جاء عن العتبي في قصة الاعرابي الشهيرة — ومالا يحصى من الاحاديث الواردة في السنن — واقوال جمهور الفقهاء قديماً وحديثاً . فان قيل ان الاستشفاع بالنبي في الآية والحديث انما هو خاص بحياته صلى الله عليه وسلم قيل في الجواب قد

جاءت هذه الادلة مطلقة مرسلة فمن اين لنا ان نقيدها بحال دون آخر وقد انعقد الاجماع على حياة النبي في قبره حياة فوق حياة الشهيد فحكم الآيات والحديث باق في الجملة — على ان التفرقة بين الحياة والموت تؤذن بتأثير للحي قد يقال عنه شرك ايضاً ؟ مع الاتفاق على انه لانفع ولا ضرر الا من الله تعالى . وقد يقال هلا حملت تلك الالفاظ التوسلية التي تصدر من بعض عامتنا على المجاز العقلي بقرينة صدورها من موحد على اعتبارها اسباباً عادية كما في انبات الربيع واشباع الطعام وذبح السكين وكما في قصة جدنا رحمه الله مع المرأة التي رآها عند ضريح النبي يحيى عليه السلام . اما الزيارة فقد اتفقت أئمة الفقهاء على انه يستحب للحاج بعد فراغه من الحج زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وهي تصريح بشد الرحل اذ لا يمكن بدونه على انه ليس في حديث لا تشد الرحال نهي صريح ولذا اختلفوا في شدها الى غير المساجد على اقوال متفاوتة وقال بعضهم النهي خاص بالمساجد وقالوا ليس النهي للتحريم والشيخ ابن تيمية انما اخذ بالظاهر وقد قالوا ان السفر للتجارة او النزهة مباح فهل نجعل زيارة قبر نبينا وصلحائنا دون ذلك ؟ مع انها مشروعة بالاجماع — وانما يمكننا هنا ان نقول بان ماعليه كثير من العامة وقليل من الخاصة في امر الزيارات يحتاج ولا ريب الى تنقيح وتهذيب بما هو متفق عليه بلا غلو وذلك بان نزور النبي ونحن في الحج على قصد الحج ونزوره في غير الحج على قصد المسجد ولا نزيد في زيارتنا على ما ورد في كتب الفقه ولا سيما الآية (ولو انهم اذظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما) . ونزور الصالحين احياء وامواتاً ولا نزيد في زيارة قبورهم على قراءة المشروع وان شئنا زيادة فالدعاء والسؤال من الله تعالى والتوسل بحقهم عليه وجاههم لديه ولا نطلب منهم مالا يطلب الا من الله كالشفاء والرزق فان فعل ذلك مع اعتقاد التأثير كفر وشرك وبدونه غير مشروع فلا ينبغي ولا نمسك تابوتاً ولا نقبله ولا نصلي اليه ولا

نبني عليه غير لوح لاسم صاحبه ولا نزخرفه ولا نحليه ونزيل ما زاد على الحد الشرعي من ذلك ولو تدريجاً ولا سيما الخرق المعقودة على شبابيك المزارات ولا ننذر لاصحاب القبور ولا نذبح لهم ولا نحلف بغير الله تعالى — ثم نجعل ابتهالنا ورجوعنا في جميع امورنا الى الله سبحانه وتعالى بتوسل وبغير توسل فانه هو القائل (اياك نعبد واياك نستعين) وهو القائل (اقرب اليكم من حبل الوريد) وهو القائل عز من قائل (ادعوني استجب لكم) وبهذا اقناع وانصاف عسى ان يزول بهما الخلاف ان شاء الله.

ان من الجهل والضلال القول بان ما عليه المسلمون عامة من توسلهم الى الله تعالى وذكرهم بعض الانبياء او الصالحين هو شرك المشركين الاولين بعينه لافرق بينه وبينه فانه لم يقل به احد من علماء المسلمين في جميع اقطار الارض من عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى عهد ابن عبد الوهاب فهل اشركت الامة جمعاء حتى قام هو وحده يدعوها الى التوحيد ؟ ان اولئك المشركين قد كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا عنه مجنون ومسحور وقالوا في القرآن اساطير الاولين وقالوا اجعل الالهة الهاً واحداً فاين هؤلاء من هؤلاء بل اين الايمان من الكفر نعم وجد جماعة غلوا في دينهم ووقعوا في محظورات شرعية تكلم عليهم الشيخ ابن تيمية وقد لاينكر وجود شرذمة منهم هم البلاء على الدين والامة في كل عصر ومصر ولكنه رحمه الله لم يرم المسلمين عامة بالكفر والشرك ولا استباح دماءهم واموالهم ولا اوجب الهجرة من بلادهم ولا قاتل تاركي الجماعة منهم ولا حرم شرب الدخان عليهم ولا قال انه هو ومن على مذهبه هم الموحدون لاغير بل قال بزيارة النبي عليه السلام الزيارة الشرعية وسائر اموات المسلمين ولم ينكر التوسل المشروع باصله كما عليه علماء مذهبنا عامة وكما نقله بعضهم عنه فاين ابن عبد الوهاب من ابن تيمية بل اين هو من عامة علماء الاسلام في مشارق الارض ومغاربها فهلا اقتفى اثرهم ووسعه ما وسعهم وهم الجماعة والسواد الاعظم

من شذ عنهم فقد شذ في النار

ومن غلو هؤلاء قولهم ان اهل زماننا يعنون بلفظ السيد ما يعني قدماء المشركين بلفظ الاله وان ما نعبر عنه بالاعتقاد الآن هو الشرك الذي نزل فيه القرآن ولايخفى ما في هذا من المكابرة والمغالطة ولله من يقول :

ان كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان اني رافضي

ومن ذلك قولهم ان شرك مشركي زماننا اعظم من شرك الاولين لان اهل زماننا يشركون في الرخاء والشدة ولانهم يدعون مع الله اناسا من اهل الفجور والفسق بخلاف الاولين ! وقولهم ان الشهادتين وتصديق القرآن والايمان بالبعث والصلاة والصيام والحج والزكاة كل ذلك لا ينجيهم من هذا الشرك لانهم لم يوحدوا توحيدهم ولم يهووا هواهم

ومن مسائلهم التي اوقعتهم بهذه الورطة توسعهم في تأويل الشرك والبدعة فانهم لا يفرقون بين الجلي الاكبر وهو عبادة الاوثان والاصنام وبعض الانبياء والصالحين لحلول واتحاد او لغير ذلك وبين الخفي الاصغر وهو النظر الى الاسباب والتعمق فيها — مع ثبوت الفرق بآية (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) وبحديث ابي موسى الاشعري قال خطبنا رسول الله فقال يا ايها الناس اتقوا هذا الشرك فانه اخفى من دبيب النمل على الصفا — وبأحاديث كثيرة في السنن جاء فيها تسمية الرياء ونحوه بالشرك الخفي والاصغر فكل ذلك يثبت مع الايمان شركا قال احد كبار شيوخنا : الشرك شركان شرك ينافي الايمان وهو عبادة الاوثان ونحوها وشرك يجامع الايمان وهو الرياء ونحوه ومقام الاخلاص انما هو لاهل الاختصاص انتهى . وقد اجمعوا على انه لا يكفر احد من اهل القبلة بكبيرة فكيف بما دونها — ولا يفرقون بين بدعة الدين وبدعة العادة مع ان النهي انما هو عن الاولى للحديث (من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وبدعة العادة تنقسم الى اقسام كمستحب ومباح ومكروه

فلذا اوجب العلماء حمل العموم في حديث (كل بدعة ضلالة) على بدعة الدين للحديث المذكور وما من عام الا وخص .

ومن مسائلهم التوسع في مسألة الاجتهاد وذلك انه ادعاه منهم الجليل والحقير وتجرأ عليه الكبير والصغير حتى من قرأ من العلم مسألتين وحفظ من الشعر بيتين بل من لا المام له بشيء من مبادىء العلوم كنحو وصرف فضلا عن مقاصدها كتفسير واصول حديث واصول فقه وهي نغمة شرعها لهم امامهم ابن عبد الوهاب الذي طالما يذكر ازاء كل مسألة وحادثة الدليل عليها من آية او حديث وكثيراً ما رأينا الدليل في غير محله كقوله في القواعد الاربع مستدلا على ان توسلنا عبادة وتقرب بالاية (ما نعبدهم الا ليقربونا) مع ثبوت العبادة صراحة لاولئك المشركين وانتفائها في غيرهم وكقوله في كشف الشبهات بان المشركين ؟ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه وان من الايات المحكمة قوله تعالى (ويعبدون ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) مع ان سائر آيات الشفاعة كقوله تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) هو من المحكم ايضاً وانما فسر بعض الايات بعضا بان الشفاعة ثابتة لاهلها فيما هو من شأنهم وباذنه تعالى ولكن الشيخ يأخذ بعضاً ويعرض عن بعض فكيف يصح استدلاله لما يريده بمثل هاتين الايتين وهكذا ترى العامي منهم يسرد عليك شبه ادلة من آيات واحاديث فانظر انى يذهبون ولا غرو انهم يعرفون بما لا يعرفون .

ومن مسائلهم القول بفرضية الجماعة والمسجد واولية الوقت لكل صلاة فمن عرف منه التأخر عن حضورها انكروا عليه انكارهم على المشركين واستحلوا قتله وطالما سمعنا عنهم انهم فعلوا ذلك بدون مبالاة كأنهم يتقربون بذلك الى الله تعالى او كأنهم يقتلون مرتداً او كافراً لا ذمة له نعوذ بالله من ذلك مع ان فقهاء مذهبنا لم يزيدوا على ان الصلاة في اول الوقت سنة وان الجماعة واجبة

وجوبا دون الفرض وان الصلاة في المسجد افضل من الصلاة في البيت وغيره افتن كانت الحال في صدر الاسلام انهم كانوا يحضرون الصلاة جماعة في المسجد منذ اول الوقت افيكون ذلك كله من الفروض الدينية حتى يقاتل الناس عليها وترميهم بالكفر وهل فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم او احد من اصحابه فمن بعدهم رضي الله عنهم اللهم لاحول ولا قوة الا بك .

ومن مسائلهم انكار الاجماع والقياس من اصول الدين وقد قال بهما جمهور العلماء حتى الحنابلة الذين ينتسبون اليهم فانكارهما جهل بالدين والعلم جميعا .

ومن مسائلهم انكار الكرامات مع ان كرامات الاولياء ثابتة كمعجزات الانبياء واول ولي الخضر عليه السلام ويرحم الله القائل :

واثبتن للاوليا الكرامه ومن نفاها فانبذن كلامه

ومن مسائلهم تكفير من حلف بغير الله او نذر لغير الله او ذبح لغير الله مع ان حديث الحلف الذي يستدلون به محمول عند عامة العلماء على من يعبد مايحلف به او على كفران النعمة والشرك الخفي وكذا يقال فيمن تنذر او ذبح لغير الله وانما نعترف لهم بأن ذلك كله منهي عنه في الشرع ولا مانع من القول بانه حرام .

ومن مسائلهم تحريم شرب الدخان من تنباك وتوتون بانه بدعة او بانه مسكر او بانه مضر وربما سمعنا انهم كفروا به اناسا وقتلوهم من اجله فاما تحريمه لكونه بدعة فانه من بدع العادات لا من بدع الدين فهو كالخيار وعرق السوس والاكل بالملعقة والاستتار بالمظلة وان قيل بانه مكروه طبعا يتأذى به الملك والجليس فانما مثله البصل والثوم فليكن حكمه حكمهما من انه ينبغي الابتعاد به عن الجلساء وان لايدخل المسجد حتى يغسل فمه و يتنظف منه واما تحريمه للسكر فالقول بذلك سخف وسذاجة فان السكر انما هو غيبوبة العقل مع نشأة النفس كما هو مشاهد في السكارى ولا شيء من ذلك في اصحاب الدخان وما قد يعتري بعضهم لعدم الاعتياد او لكون المشروب اثقل مما اعتاد انما هو عبارة عن صداع

لا نشأة تفغوي معه ولا زوال عقل اصلا . واما تحريمه للضرر فهذا ان صح سببه بعض الاشخاص لضعف جسم او كثرة استعمال فحينئذ نحرمه للضرر لا لذاته كما نحرم استعمال كل مضر حتى خبز لمريض يضره وشاي وقهوة لمن يتضرر بهما بسبب مزاجه او بسبب اكثاره منهما . هذا ولا يعزب عنك ما يذكره اصحاب الدخان من المحاسن والفوائد وما كتب في ذلك نثراً ونظما والقول الفصل في الدخان انه لا تحريم فيه لذاته وانما تعتريه احكام تختلف باختلاف حال صاحبه فنحرمه ونكرهه ونندب اليه بحسب الحال .

هذا مجمل ما عرفناه من مسائل الوهابيين التي تهوزوا فيها وغلوا غلواً كبيراً مع اعترافنا بوجود طائفة منهم معتدلين بعيدين عن التهوز والغلو وسط بين الافراط والتفريط ولكننا مع الاسف سمعنا بهم ولم نرهم الا واحداً او اثنين اجتمعنا بهما مرة او مرتين ومع اعترافنا بصلاحهم جميعاً و بعدهم عن المنكرات من زنا وخمر وربا وسماع آلات محرمة ومحافظتهم على العبادات من صلاة وصيام وحج وزكاة وحرصهم على الكسب الحلال في بيع وشراء والعقود الصحيحة في نكاح وطلاق وغير ذلك مع سلامة السنتهم من الكذب والغيبة والنميمة والفضول وهذا ما نأسف له ونخاف عليهم به ان يكونوا كاولئك الخوارج الذين خرجوا على علي فانهم علماء ورعون زادوا في ورعهم على الحد الشرعي خائفين من الكفر فما زالوا حتى وقعوا فيه وقتالهم رضي الله عنه وقصتهم مدونة معروفة حمى الله الوهابيين من الوقوع في ذلك بفضله ورحمته قال الله تعالى (يهدي به من يشاء و يضل به من يشاء)

(ذيل مسائل الوهابية)

❊ او مسائل المتنورين ❊

بقي علينا مسائل لجماعة حبذوا رأيهم وبحثوا بحثهم يرون بالشرك كل من ذكر غير الله و يسمونهم قبوريين و يقولون بالاجتهاد من غير تأهل له بل بمجرد سرد آيات واحاديث يخبطون بها خبط عشواء يسألون الدليل في كل قال وقيل معتبرين

ائمتهم المعدودين معرضين عن علماء الاولين والآخرين بغلاظة وتبجح وفظاظة وتفصح (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) . ومن هؤلاء المتطرفون والمعتدلون فاما المتطرفون فانهم زنادقة مارقون واباسة ملحدون لا دين لهم الا بالاسم والرسم فلا صلاة ولا صيام ولا غيرها من شعائر الاسلام واذا سئلوا كشموا عن سائلهم وموهوا وتألموا من صاحبهم وتأوهوا فاذا ذكر الدين اعترفوا بمذهب ابن عبدالوهاب واعترضوا على غيره في كل باب فالدين عندهم امر يسير تلبسوا منه بالطقس الاخير ؟

ومنهم من ينكر النسخ في كتاب الله تعالى مع انه ذهب اليه اكثر العلماء دع عنك ما كتب فيه الاصوليون من مباحث هامة وما افرد له العلماء من رسائل مستوفاة قديما وحديثا .

ومنهم من يسأل عن الدليل القرآني على كفر من ينكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كأنه لا يدري ان الكفر بالنبي كفر بالقرآن اذ هو الذي جاء به .

ومنهم من يقول بالتخيير بين الغسل والمسح في الرجلين عملا بالقراءتين في آية الوضوء مع اجماع اهل السنة على عدم جواز المسح .

ومنهم من يستشكل الاية فلا يرضيه في تأويلها تفسير البغوي وابن جرير فضلا عن الكشاف والبيضاوي حتى ينظر في تفسير ائمة الوهابية و يقف على آرائهم الفاسفية وكثيرا ما سمعنا الواحد منهم يتكلم في الاية قبل مراجعة تفسيرها او يتكلم في الحديث قبل الوقوف على شيء من شروحه المعروفة او يغمز راويه ومخرجه بمجرد الرأي والهوى فيا لك من عجرفة هؤلاء واعجابهم بآرائهم وعقولهم فيما مستنده النص والنقل اعاذنا الله من شرور انفسنا وسيآت اعمالنا آمين .

واما المعتدلون فاولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون وهم افراد قلائل يرجعون الى القول و ينظرون في الدلائل وكان في مقدمة هؤلاء احد اساتذتنا رحمه الله فانه طالما انتقد غلاة الفريقين وذكر لنا عنهما الزين والشين وقد تشأ بجانا

عن المشكلات نقابا عن المعضلات ولا سيما ان كان هناك مصلحة مرسلة او حاجة داعية ملتمسا الرحمة لهذه الامة من علماء اولئك الائمة مادام الدليل خفيا والخلاف مأثورا فاذا حدث امر يتعلق بالدين وتتوقف عليه مصالح المسلمين عرضه على ميزان الشرع والعقل ونظر فيه بالحق والعدل فتكلم بما افضى اليه علمه وفهمه وطالما حقق المسائل والف فيها الكتب والرسائل ونشرها في العالم والجاهل ولم نعلم ان احدا ضاهاه مع ان اكثرهم لغافيه وجفاه ولا حول ولا قوة الا بالله ·

فمنها مسألة الطلاق اعتدادا بالثلاث منه واحدة وفروع لذلك شتى وهي مسألة شيخ الاسلام ابن تيميه الشهيرة فانه لما تحقق عموم البلوى به وتلبس العامة بوصمته رأى تخليصهم من هذه الوصمة الكبرى والورطة العظمى ليصح لهم النكاح وتسلم انسابهم من السفاح وما احلى تسميتها الاستئناس لتصحيح انكحة الناس ·

ومنها مسأله العمل بالتلغراف في الصوم والافطار وغيرهما وهي مسألة جديدة قام الناس بها عليه وسلقوه بالسنة حداد لانها غير منصوص عليها في الكتب ؟ مع انها مسألة وجيهة يطمئن القلب اليها في باب الخبر بل في باب العلم وقد سبقه الى القول بها من ادركوا التلغراف من علماء اعلام ووافقه عليها من المعاصرين فضلاء عظام والكتاب الذي جمعه في ذلك لا يدرك شأوه ·

فرحم الله قوما رأوا الحق حقا فاتبعوه والباطل باطلا فاجتنبوه وآثروا الهدى على الهوى وهو اعلم بمن اتقى ·

(مسائل غير الوهابية)

(او الجامدين والحشوية)

يراد بهؤلاء حيث اطلقوا رجال القرن السابع فمن دونهم حيث ظهرت غلاة الصوفية والفقهاء عن انتشرت تآليفهم وبها قام الناس وقعدوا وهؤلاء هم سواد المسلمين وحملة العلم والدين الناشرون للمذاهب الاربعة الراغبون في الآثار المتبعة الزاهدون في المسائل المبتدعة المتوسلون بالنبي عليه السلام والاولياء العظام الذين

انتشرت احكامهم في الانام وتابعهم الخاص والعام رحمهم الله تعالى آمين ولا ريب ان بعض هؤلاء قد غلوا بانفسهم وغلا الناس فيهم اذ حشى الفقهاء اسفارهم بالاستنباطات والاستظهارات والتفنن في سرد الاقوال والروايات حتى صح القول في بعضها (ضاع اللب في القشور والاصل في الفروع) لا نريد ان تلك الفروع الفقهية اسفا في حاجة اليها اذ لو لا الحاجة لم تخرجها العلماء وتسطرها الفقهاء (الا مسائل نادرة ومضحكة) وانما نريد ان البعض من الفقهاء جزاهم الله عن اخلاصهم خيراً قد استندوا في تحرير المسائل الى مالا يحمد من الدلائل وسلكوا في تحرير الاحكام غير سبل السلام حتى بلغ الحال ببعضهم انه يذكر له الحديث الصحيح بما يخالف رأيه فيقول هكذا قالت فقهاؤنا ؟ واذا قيل له لماذا نقرأ الحديث اذن فيقول انما نقرأه للتبرك ؟ وهذا مايأباه المفتي العاقل والقاضي العادل والله يظهر الحق على الباطل ولو كره الجامدون ٠

واليك نموذجات من مسائل الفقهاء قال بعضهم لايجوز ان يتزوج الرجل الحنفي بامرأة (شفعوية) لانها تعتقد كذا وتقول كذا وتفعل كذا قال الشارح والاظهر الجواز حملا على الكتابية ؟ وقالوا لايقتدي بالحنفي لانه لايقرأ البسملة ولا بالحنبلي لانه يمسح على الجوربين ولا بالمالكي لانه لايتجافى عن الكتاب وقال بعضهم عن الحنابلة الاثريين انهم مجسمون كفرة ملحدون مع انهم يثبتون لله ما اثبته الله لنفسه من وجه ويد ونزول واستواء فلم يشأ اولئك ان يكونوا كالحنابلة القائلين : مذهبنا الاثبات بالخليلي من غير تعطيل ولا تمثيل ولم يزل بعضهم يندد بهم ويتذمر من كلمة اثرية فتأمل

واذا شئت ان تقف على التعصب المذهبي من جراء هذه المسائل فارجع الى طبقات السبكي وانظر ما كتبه في تكفير بعض المفتين والخطباء مع قول الحنفية اذا وجد تسعة وتسعون وجهاً للتكفير ووجه واحد لعدمه وجب الحمل على عدم التكفير — وارجع الى مقامات ابن الوردي وتأمل ما كتبه عن الرياحي قاضي

المالكية بمصر وما فعل بالناس من القتل والضرب وفنون الايذاء الى غير ذلك مما طوي في بطون الكتب ولا ينبغي الافصاح به هناك تعرف كم بلغ شر تلك المسائل الحشوية والامور الخلافية عافانا الله من الشرور وهدانا الى اوساط الامور آمين .

الخاتمة في التأليف بين الفريقين

تبين لك مما قدمناه في مسألة التوسل والزيارة وجه الحق في هذا الباب وما عليه الوهابية من الغلو في انكار التوسل وما عليه عامتنا و بعض خاصتنا من التهور فيه وما يجب ان يرجع اليه من الاعتدال في ذلك فالتوسل وما في معناه ثابت اجمالا على الوجه المشروع بلا غلو ولا تهور والزيارة للنبي عليه الصلاة والسلام فمن دونه ثابتة كذلك على ما ورد فيها من احكام وآداب و بهذا التوسط والاعتدال يزول الاختلاف و يحصل الائتلاف وهكذا لو خففنا من غلواء الفريقين ونظرناهما بعين الرضاء والقبول وقصدنا الحق اين كان وحيث وجد لهان الامر وسهل الصعب ولم يبق من خلاف يفضي الى مناقشات ومنازعات فضلا عن تكفير وتبديع واستباحة دماء واموال قال تعالى (وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) ولو فكرنا فيما حولنا من المشكلات الدينية الكبرى والمعضلات الوطنية العظمى لوجدنا ان ما نحن فيه اولى ان ينسى لا ان يذكر واحق ان يطوى لا ان ينشر وحسبنا ما مضى وفات من هفوات وعثرات فلنعدل عن القشور الى الالباب وعن المباني الى المعاني لنكون يداً واحدة تجاه خطبنا الديني و بلائنا الوطني هذا ما عندي والله يضل من يشاء و يهدي والسلام على من اتبع الهدى ونهى النفس عن الهوى

تمت تحريراً في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٤٠

وذلك على يد الفقير الى الله تعالى محمد جميل ابن المرحوم عمر افندي

ابن الشيخ محمد الشطي الحنبلي الاثري غفر الله لهم آمين

والحمد لله رب العالمين

﴿ ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﴾

مختصرة من كتاب ابجد العلوم للعلامة الشهير صديق حسن خان ملك بهوپال (وهو من علماء الاعتدال)

الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي صاحب نجد الذي تنسب اليه الطائفه الوهابية ولد سنة ١١١٥ بالعيينة من بلاد نجد ونشأ بها وقرأ القرآن وسمع الحديث اخذ عن ابيه وهم بيت فقه حنابلة ثم حج وقصد المدينة المنورة ولقي بها شيخا عالما من اهل نجد واخذ عنه ثم انتقل الى حريملا قرية من نجد ايضا ولما مات ابوه رجع الى العيينة واراد نشر الدعوة فرضي اهلها بذلك ثم خرج عنها بسبب الى الدرعية في حدود سنة ١١٥٩ واطاعه اميرها محمد بن سعود وانتشرت دعوته في نجد وشرقي بلاد العرب الى عمان ولم يخرج عنها الى الحجاز واليمن الى في حدود المائتين والالف وتوفي سنة ١٢٠٦

قال الشيخ الامام العلامة محمد بن ناصر الحازمي الاخذ عن شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني : هو رجل عالم متبع الغالب عليه في نفسه الاتباع ورسائله معروفة وفيها المقبول والمردود واشهر ما ينكر عليه خصلتان كبيرتان الاولى تكفير اهل الارض بمجرد تلفيقات لا دليل عليها وقد انصف السيد الفاضل العلامة داود ابن سليمان (هو الشيخ داود النقشبندي البغدادي صاحب صلح الاخوان من اهل الايمان المطبوع في بمبي سنة ١٣٠٦) في الرد عليه في ذلك الثانية التجاري على سفك الدم المعصوم بلا حجة ولا اقامة برهان وتتبع هذه جزئيات تنفر من صلاح الاصل وصحته انتهى .

والامام العلامة عبد الله بن عيسى بن محمد الصنعاني كتاب سماه السيف الهندي في ابانة طريقة الشيخ النجدي الفه سنة ١٢١٨ قال فيه كان مبتدأ امره في بضع وستين ومائة والف فنزل بمحلة الشيخ عبد العزيز النجدي وكان اهل تلك المحلة

من اهل اليمامة اعرابا مضيعين لاركان الاسلام فلما حل عندهم ابن عبد الوهاب صار يدعوهم الى التوحيد ويعلمهم الشرائع من الصلاة والصيام وغير ذلك وكان الشيخ عبد العزيز اول من تابعه واسلم على يديه ثم لما تم للشيخ ابن عبد الوهاب ما اراد في تلك القرية واجتمع على الاسلام معه عصابة قوية صاروا يدعون من حولهم من القرى بالرغبة والرهبة ويقاتلون من حولهم من الاعراب ثم لما تمكن في قلوبهم الاسلام وهم عرب اغنام قرر لهم ان من دعا غير الله او توسل بنبي او ملك او عالم فانه مشرك شاء او ابى اعتقد ذلك ام لا وتعدى ذلك الى تكفير جمهور المسلمين وقاتلهم بهذا الوجه وقد وقفت على رسالة لهم في هذا الشان وكان المولى العلامة السيد محمد بن اسماعيل الامير بلغه من احوال هذا النجدي ما سره فقال قصيدته المشهورة :

سلام على نجد ومن حل في نجد ... وان كان تسليمي على البعد لا يجدي

ثم لما تحقق الاحوال من بعض من وصل الى اليمن وجد الامر غير صاف عن الادغال فقال :

رجعت عن القول الذي قلت في النجدي ... فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي . انتهى

واما السيد العلامة محمد بن اسماعيل الامير فعبارته في شرح قصيدته المذكورة الموسوم بمحو الحوبة في شرح ابيات التوبة : لما بلغت هذه الابيات نجداً يعني القصيدة الاولى وصل الينا بعد اعوام من بلوغها رجل عالم يسمى الشيخ مربد ابن احمد التميمي وكان وصوله في شهر صفر سنة ١١٧٠ واقام لدينا ثمانية اشهر وحصل بعض كتب شيخ الاسلام ابن تيمية والحافظ ابن القيم بخطه وفارقنا في عشرين من شوال سنة ١١٧٠ راجعاً الى وطنه وكان من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي وجهنا اليه الابيات فاخبرنا ببلوغها ولم يأت بجواب منها وكان قد تقدمه في الوصول الينا بعد بلوغها الشيخ الفاضل عبد الرحمن النجدي ووصف لنا من حال ابن عبد الوهاب اشياء انكرناها عليه من سفكه الدماء ونهبه الاموال

وتجاريه على قتل النفس ولو بالاغتيال وتكفيره الامة المحمدية في جميع الاقطار فبقي معنا تردد فيما نقله الشيخ عبد الرحمن حتى وصل الشيخ مربد وله نباهة ببعض رسائل ابن عبد الوهاب التي جمعها في وجه تكفير اهل الايمان وقتلهم ونهبهم وحقق لنا احواله وافعاله واقواله فرأينا احواله احوال رجل عرف من الشريعة شطراً ولم يمعن النظر ولا قرأ على من يهديه نهج الهداية ويدله على العلوم النافعة ويفقهه فيها بل طالع بعضاً من مؤلفات الشيخ ابن تيمية ومؤلفات تلميذه ابن قيم الجوزية وقلدها من غير اتقان ولا حقق احواله ورأينا في الرسائل اقواله وذكر لي انما عظم شأنه بوصول الابيات التي وجهناها اليه وانه يتعين علينا نقض ما قدمناه وحل ما ابرمناه وكانت هذه الابيات قد طارت كل مطار وبلغت غالب الاقطار واتتنا فيها جوابات من مكة المشرفة ومن البصرة وغيرهما — كتبت ابياتا وشرحتها واكثرت من النقل عن ابن القيم وشيخه انتهى كلام السيد رحمه الله تعالى وقد وقفت على هذا الشرح وهو عندي الفه السيد المؤلف سنة ١١٧٠

هذا وقد وقفت على رسائل للشيخ محمد بن عبد الوهاب منها كتاب النبذة في معرفة الدين الذي معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة والجهل به واضاعته سبب لدخول النار • وكتاب التوحيد المشتمل على مسائل من هذا الباب • اوله قول الله عز وجل (ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وليس لهذا الكتاب ديباجة وانما يذكر فيه الايات والاحاديث ثم يقول مسائل • وكتاب في مسائل خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليه اهل الجاهلية من اهل الكتاب وغيرهم وهو مختصر في نحو كراسة • وكتاب كشف الشبهات في بيان التوحيد وما يخالفه والرد على المشركين ؟ ورسالة اربع قواعد من قواعد الدين ؟ في نحو ورقة • وكتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر • وكتاب في تفسير شهادة ان لا اله الا الله وكتاب تفسير سورة الفاتحة • ورسالة في معرفة العبد ربه ودينه ونبيه ؟ ورسالة في بيان التوجه في الصلاة ؟ ورسالة في معنى الكلمة الطيبة ورسالة في تحريم

التقليد . وهذا جل ما وقفت عليه من تواليفه الى الآن وفيهـا ما يقبـل و يرد وعلى كتابه التوحيد شرح مبسوط مفيد لحفيد المؤلف الشيخ العالم العلامة مفتي الديار النجدية عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب سماه فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد ولخصه ? قرة عين الموحدين في تحقيق دعوة المرسلين . ولاتباعه ايضا رسائل منها الرسالة الدينية في معنى الالهية للشيخ عبد العزيز بن محمد بن سعود قال فيها من عبد العزيز ? الى من يراه من العلماء والقضاة في الحرمين الشريفين والشام ومصر والعراق وسائر علماء الغرب والشرق سلام عليكم ورحمة الله و بركاته الخ ثم وقفت بعد ذلك كله حين السفر الى الحرمين الشريفين سنة ١٢٨٥ رسالة للشيخ العالم عبد الله ابن امام الوهابية المذكور ذكر فيها مالفظه : و بعد فانا معاشر موحدون لما من الله علينا وله الحمد بدخول مكة المشرفة نصف النهار يوم السبت ثامن شهر المحرم سنة ١٢١٨ بعد ان طلب اشراف مكة وعلماؤها وكافة العامة من امير الغزو سعود حماه الله وقد كان امراء الحج وامير مكة على القتال والاقامة في الحرم ليصدوه عن البيت فلما زحفت اجناد الموحدين القى الله الرعب في قلوبهم فتفرقوا شذر مذر كل واحد يعد الاياب غنيمة و بذل الامير حينئذ الامان لمن بالحرم الشريف ودخلنا بالتلبية آمنين محلقين رؤوسنا ومقصرين ? غير خائفين من احد من المخلوقين بل من مالك يوم الدين — الى ان قال ولما تمت عمرتنا جمعنا الناس ضحوة الاحد وعرض الامير عافاه الله على العلماء ما نطلب من الناس ونقاتلهم عليه قال ثم دفعت اليهم الرسائل المؤلفة للشيخ محمد في التوحيد واختصرت من ذلك رسالة للعوام انتهى وقد انكر في هذه الرسالة كثيرا من المسائل والاقوال المخالفة لصحاح الكتب .

و بالجملة فالشيخ محمد بن عبد الوهاب ممن اختلف فيه اعتقاد الناس فمنهم من اثنى عليه في كل ما قاله ونشره ودعا اليه وقاتل عليه فانتصر له وافتخر بالانتساب اليه والى طريقته — ومنهم من اساء الظن به كل الظن ورد عليه كل نقير وقطمير

اختاره وذهب اليه لكفره و بدعه — ومنهم من سلك سبيل الانصاف وترك القول بالاعتساف فقبل من اقواله ما كان صوابا ورد ما خالف منها سنة وكتابا ولعمري هذا هو الطريق السوي والصراط المستوي .

انتهى كلام صديق حسن خان قدس الله روحه ولا غرو فان كلام الملوك ملوك الكلام والسلام ختام . حرره محمد جميل الشطي عفي عنه

(الوهابية تنعي نفسها في حادثة ابراهيم باشا)

(من عنوان المجد في تاريخ نجد)

عام به الناس جالوا حسبما جالوا   ونال منا الاعادي فيه ما نالوا

قال الاخلاء ارخه فقلت لهم   ارخت قولوا بماذا قلت (غربال)

١٢٣٣

BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE